أفكار بين السماء والأرض

وصرخت من أعماقي أنا.. من مصر !

ما بين ارتفاع الطائرة من مطار ، وهبوطها في مطار آخر ، يخلو الإنسان لنفسه وهو معلق بين السماء والأرض تسبح أفكاره بين السحب . تقارن بين ما رآه في البلد الذي زاره ، وما هو قائم في بلده وكيف يمكن أن يستفيد بلده بما رآه منقذا من أفكار بسيطة . ولكنها ذات أثر فعال في نفوس الزائرين . هذه هي طبيعتي في أسفاري .

إبراهيم صالح

وأول مالفت نظري في روما .. مطارها فأنت تشعر فيه بالزحام الشديد من ناحية العدد . ولكنك لا تشعر بأي ارتباك في الإجراءات لكثرة منافذ الدخول والخروج . يكفي أن تعلم أن الجزء الخاص بركاب « الكارتيت » يضم ٤٨ بوابة ! !

وإلى أن يتم توسيع مطار القاهرة ، وتحويل مطار الإسكندرية إلى مطار دولي لتخفيف الضغط عليه ، وبناء مطار دولي جديد غرب القاهرة . إلى أن يتم كل هذا .. ألا نستطيع ادخال تعديل على صالة الوصول بمطار القاهرة جعل منافذ الجوازات بطول الصالة وليس بعرضها حتى يزيد عددها ولو قليلا — فتقل بالتالي الطوابير المتراصة أمامها .. ولو قليلا أيضا ؟ !

□□□

وفي أول جولة لي في روما وسط مجموعة من الزائرين ، نظر إلى الرفاق وسألني :

— عرفي —

— نعم .

— من أين ؟

— من مصر .

— آه .. السادات .. صانع السلام . وظل يردد بالعربية : مبروك .. مبروك .. مبروك .. مبروك .

ولا أدري إن كان يعرف معنى الكلمة ويقصده أو هي الكلمة العربية الوحيدة التي يعرفها ولكن أعماقي أحست بالزهو والفخر .

ومضت الجولة بين آثار روما . ووجدته يفخر بوجود مسلة مصرية أصيلة . وبأن أعمدة مدخل « الباثيون » تتكون من ٥٠٠ طن من أفخر أنواع الجرانيت في العالم .. جرانيت أسوان . وأحسست بأعماقي تصرخ في داخلي : أنا من مصر ! ! .. وكاد لساني ينقل صرخة أعماقي لولا أن عيني كانتا تستمتعان بمظاهر الانبهار على وجوه باقي الزائرين ! !

وقيمة آثارنا التاريخية وجمالها الفني ، لا تقبل نقاشا في العالم كله . ولكن الذي يتطلب الكثير من النقاش — مع أنفسنا — هو مدى إبرازنا لهذه القيمة وذلك الجمال . كما يفعلون هم . فكل آثار روما القديمة .. وحتى أطلالها . تحيط بها ميادين فسيحة وشوارع واسعة وبالفورات رائعة وأشجار وزهور وحضرة .. تزيد إحساسك بها .

ليتنا نفكر في مظهر وجمال آثارنا . بدلا من مجرد الاعتياد على قيمتها في كتب التاريخ ! !

□□□

ومن معالم روما السياحية .. مدينة الملاهي بها . فهي مشهورة حتى في أوربا — بمساحتها الكبيرة وتعدد ألعابها وغرابتها .

ومصر محرومة من مدينة للملاهي . حتى بعض مدن الملاهي التي تقام بها من آن لآخر لا تزيد على مجموعة من « المراجيح » التي لا تختلف في مضمونها عن « مراجيح الموالد » في أية قرية مصرية . وإن تميزت عنها في الشكل بعض التكنولوجيا الحديثة .

لماذا لا نخصص مساحة كبيرة في مدينة نصر مثلا لإقامة مدينة ملاه عالمية إنها مصدر جذب للسياح في كل العالم . ومصدر دخل أيضا فالدخول من باب مدينة الملاهي بروما يعني ما لا يقل عن ثلاثين دولارا للطفل . فما بالك بالكبار ؟ ! .. وكثير من ألعابها لا تصلح إلا للكبار .

□□□

وأغوار الشراء والإنفاق هناك « بالتيبو » أو شارع فينيو .. أكبر شارع تجاري في روما نهارا .. يتاجر في السلع ومساء يتاجر في الجمال . ولكني لا أنصحك بالتجول ليلا إلا إذا كان في جيبك ثلاثمائة دولار على الأقل .. ولم تكن معك زوجتك ! !

□□□

وتنتهي الجولة عند « فونتانا دي تريفي » الفاكهة الشهيرة التي كانت بطلة لأحد الأفلام الأمريكية مع فرانك سيناترا وجين بيترز . حيث يدير السياح ظهورهم للفاكهة ويلقون ثلاث عملات صغيرة .. أية عملة .. مع ثلاث أمنيات . طول الأسطورة السياحية إنها لابد أن تتحقق . ويقول لك المرشدون السياحيون إن ٩٠٪ من السياح — رجالا ونساء — يتمنى كل منهم ثلاث أمنيات محددة : الأولى .. أن يعود إلى روما مرة أخرى والثانية .. أن يتزوج في روما . والثالثة .. أن يطلق في روما ! !

ورغم أني ألقيت ثلاث عملات . فإني اكتفيت بالأمنية الأولى فقط . وتنازلت عن الثانية والثالثة . فقد كانت زوجتي معي ! !